

البعد العسكري في الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين: جدلية التعاون والتنافس منذ نهاية الحرب الباردة

The Military Dimension In The Strategic Partnership Between Russia And China: Cooperation And Competition Dialectic Since The End Of The Cold War



سليم بركاني BERKANI Salim

جامعة باتنة1، salim.etudiant24@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/01/01

تاريخ القبول: 2022/12/17

تاريخ الإرسال: 2022/07/31

ملخص:

لقد عرفت العلاقات بين موسكو وبكين، بعد الحرب الباردة، تقارباً معتبراً أدى إلى قيام " الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين ". وفي هذا المقال، سنتناول البعد العسكري من هذه الشراكة الإستراتيجية في ضوء الإشكالية التالية: هل ستؤدي العلاقات العسكرية بين روسيا والصين إلى قيام تحالف بين البلدين؟ ولتحقيق ذلك منهجياً: حددنا السياقات الداخلية والخارجية لعلاقتهم العسكرية؛ ثم قمنا باستعراض مظاهر التعاون والتنافس العسكري بينهما وتبيان دلالاتهما المختلفة؛ وأخيراً، قدمنا رؤية عن الآفاق المستقبلية للعلاقات العسكرية الروسية - الصينية. وقد توصلنا إلى أن توافق المصالح بين روسيا والصين يؤدي إلى تعاونهما وأن العكس صحيح؛ وأن هذه العلاقات لا تتحول إلى تحالف بينهما على المدى المنظور. الكلمات المفتاحية: الشراكة الإستراتيجية؛ العلاقات العسكرية؛ التعاون؛ التنافس؛ التحالف.

Abstract:

Following the end of the cold war, there has been a significant rapprochement between MOSCOW And PEKIN marked by the establishment of the « Strategic Partnership Between Russia And China » ; in which, their military relations witnessed a great development. In this article, we will discuss the military dimension of this strategic partnership with the following problematic: Will military relations between RUSSIA and CHINA lead to an ALLIANCE between them?. methodologically, first: we identified the internal and external contexts of their military relations ; Then, we reviewed their manifestations ; and then, we indicated their various significances ; next, we presented a vision of their future prospects ; finally, we have concluded that the convergence of interests between RUSSIA and CHINA leads them to military cooperation, and that the opposite is true ; and their actually relations don't permit the establishment of an ALLIANCE between them.

Keywords: Strategic Partnership; Military Relations; Cooperation; Competition, Alliance.

* سليم بركاني، salim.etudiant24@gmail.com

مقدمة:

لقد عرفت العلاقات بين موسكو وبكين بعد تطبيع العلاقات بينهما في أعقاب نهاية الحرب الباردة إقامة ما سمي بـ: " الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين " وقد إختارنا كموضوع بحث: " البعد العسكري في الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين: جدلية التعاون والتنافس منذ نهاية الحرب الباردة "؛ وسنقوم بدراسته من خلال الإشكالية التالية: هل ستؤول العلاقات العسكرية بين روسيا والصين في ظل جدلية التفاعل بين عوامل التعاون ودوافع التنافس بينهما إلى إقامة تحالف بين الطرفين ؟ ولإحاطة بمختلف جوانب هذه الإشكالية صغنا الفرضيات التالية:

- 1- إذا وجدت مصالح مشتركة بين روسيا والصين في المجال العسكري فإنهما سيتعاونان لتحقيق هذه المصالح.
- 2- إذا تنافرت مصالح روسيا والصين في المجال العسكري فإنهما سيتنافسان لتحقيق مصالحهما الذاتية.
- 3- إذا تمكنت روسيا والصين من إيجاد نقطة توازن بين قوى التعاون وقوى التنافس بينهما في المجال العسكري فإنهما سيستفيدان من منافع التعاون ويتجنبان تكاليف التنافس بينهما.

ولتحقيق هذه الغاية، قمنا باستعراض مفهوم الشراكة الاستراتيجية، وسياقات إقامة هذه العلاقة بين روسيا والصين في بعدها العسكري، وتبيان مظاهر التعاون ومظاهر التنافس بينهما في هذا المجال وكذلك توضيح دلالاتها المختلفة، وفي الأخير رسمنا ملامح الآفاق المستقبلية للعلاقات العسكرية بين روسيا والصين في ظل شراكتهما الاستراتيجية.

1 - مفهوم الشراكة الاستراتيجية:

نجد من الباحثين من يعتبر بأن " الشراكة في عالم السياسة، هي بمثابة الترتيبات المتعلقة بعلاقة بين أطراف سياسية، دول أو غير دول، تهدف إلى التقليل من درجة الزئبة وعدم الثقة بينهما، في ظل نظام دولي سمته الفوضى؛ وتكون الدبلوماسية ذات الصلة بالشراكة PARTNERSHIP DIPLOMACY أداة السياسة الخارجية لهذه الأطراف في سعيها لإنجاز أهداف هذه الشراكة "؛ وهناك، بوجه عام، تمييز بين الشراكة والتحالف حيث يتضمن هذا الأخير تعهد أطرافه والتزامهم بالدفاع المشترك في حالة وقوع خطر أو تهديد يمس أمن أحدها؛ وعليه، فإن " الشراكة الاستراتيجية " تتضمن وضعاً خاصاً للعلاقة القائمة بين أطرافها يمكنهم، من جهة، من تقليص التهديدات الأمنية – لبعضهم البعض –؛ ومن جهة أخرى، ترقية التعاون فيما بينهما؛ وهذا، من خلال توفير الظروف والسياسات المحفزة له مثل تخفيض التعريفات الجمركية، تبادل المعلومات الاقتصادية وتحديد المجالات ذات الاهتمام المشترك بينهم؛ ومن حيث طبيعتها، يمكننا القول بأن الشراكة الاستراتيجية في جانبها العسكري/الأمني تكون بين حدين: حد أدنى، ويتمثل في حالة العلاقة الدولية العادية (أدنى درجات التعاون العسكري/الأمني بحيث يمتنع كل طرف عن تهديد أمن الطرف الآخر) وحد أعلى، ويتمثل في حالة التحالف العسكري/الأمني حيث يكون الإلتزام العسكري/الأمني بين الطرفين موجه ضد الأطراف الخارجية ويتضمن مبدأ الدفاع المشترك في حالة العدوان على أي طرف فيهما (FENG JULY 2015, p. 13).

2 - التعاون العسكري في الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين: المظاهر والدلالات:

يعتبر التعاون العسكري من الركائز الرئيسية التي قامت على أساسها الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين، ولتناول هذا البعد من هذه الشراكة بين الطرفين نستعرض المسائل التالية: دوافع التعاون

العسكري الروسي – الصيني، مظاهره (وتتمثل في القطاعات التي يحدث فيها هذا التعاون)، ودلالاته، وكذلك آفاقه المستقبلية.

أ - دوافع التعاون: إنَّ التقارب السّياسي بين روسيا والصّين الذي جاء بعد انتهاء الحرب الباردة سمح بإيجاد نوع من الثّقة المتبادلة بين البلدين وبدرجة كافية فتحت الباب أمام قيام تعاون عسكري بينهما، وسيكون تركيزنا فيه على تعاونهما على الصّعيد الثّنائي.

- فروسيا، وبسبب الضّرر غير المسبوق الذي ضرب صناعاتها العسكرية، نتيجة الأزمة الإقتصادية التي مسّت البلاد، كان من الضّروري زيادة حجم صادرات هذه الصّناعات لإنقاذها من المخاطر التي تواجهها؛ ولهذه الاعتبارات، قد أولى المسؤولون في موسكو إهتماما بالغاً بالتّعاون العسكري مع الصّين خاصة وأنّ هذا التّعاون يسمح لهم بالحفاظ على نوع من المراقبة على الجار الآسيوي (FONTAINE 2008, p. 11)؛ كما يبقى بكن، بطريق غير مباشر أكثر ارتباطا وتبعية لروسيا (ولو إلى حين) خاصة من ناحية تزويدهم بالمستهلكات LES CONSOMMABLES والذخيرة LES MUNITIONS وبذلك يبقى الرّوس رقابتهم على المجال العسكري الصّيني من ناحية التّجهيزات والمعرفة ÉQUIPEMENTS ET SAVOIR (FONTAINE 2008, p. 12)؛ وفي هذا السّياق يذكر بأنّ وزير الدّفاع الأسبق سيرغي إيفانوف SERGEI IVANOV ذهب، في عام 2002، إلى حدّ اعتبار بأنّ الصّين وحدها قادرة على إنقاذ المركب العسكري – الصّناعي الرّوسي من النّاحية الماليّة (FONTAINE 2008, p. 11) ومنذ تطبيع العلاقات بين روسيا والصّين، فإنّ التّعاون العسكري بين البلدين تميز بارتفاع مضطرد للطلّاب الصّيني على السّلاح الرّوسي.

- وأما الصّين، فمنذ أن عرفت تطورا اقتصاديا كبيرا زادت مكانتها قوة وأهمية على الصّعيد العالمي، وهذا الوضع دفعها للبحث عن لعب دور دولي أكبر خاصة على المستوى الإقليمي لضمان الإستقرار الذي تبحث عنه في قارة آسيا، ومن هنا توجهت الصّين لتحديث قدراتها العسكرية.

- كما تخضع الصّين منذ أحداث تيان آن مان لعام 1989 لحظر بيع السّلاح من طرف الولايات المتحدة والدّول الغربية، فكان من الطّبيعي أن تتوجه الصّين إلى الجار الرّوسي من أجل تزويدها بمختلف حاجياتها من العتاد العسكري، خاصة وأنّ الجانب الرّوسي عرض على الصّينيين صيغا مرنة لدفع أثمان مشترياتهم مما جعل الصّين تتفادى تسديد أثمان هذه المشتريات بالعملة الصّعبة التي كانت في أمس الحاجة إلى توفيرها وضخها في دواليب إقتصادها القومي (FONTAINE 2008, p. 13).

- وأيضاً، يعتبر القادة الصّينيون بما أنّ معظم الحظيرة العسكرية لبلادهم تتكون من أسلحة وأنظمة سوفياتية أو تقوم على قواعد هندسية/تكنولوجية سوفياتية فهويسهل من تحديث قدرات بلادهم العسكرية من خلال اللجوء إلى إستيراد السّلاح من روسيا.

- ونجد مما ساعد الطّرفين على التّعاون في المجال العسكري هو توافق المصالح بين روسيا والصّين؛ فبالنسبة للصّين، السّلاح الرّوسي مناسب للصّين فيما يخص العلاقة بين نوعيته وسعره (وكذلك طرق دفع أثمان وارداتهم من السّلاح الرّوسي) خاصة في ظل حظر تصدير السّلاح للصّين من طرف الولايات المتحدة والدّول الغربية في أعقاب أحداث تيانآنمان عام 1989، وهكذا أصبحت روسيا بمثابة المورّد الرئيسي للسّلاح لفائدة الصّين (DE JONG (ed.) 2008, p.12).

ب - قطاعات التعاون العسكري بين روسيا والصين: وتمثل هذه القطاعات مظاهر التعاون العسكري بين البلدين، وأهمها ما يلي:

في إطار هذا التعاون العسكري بين روسيا والصين يلاحظ بأن التحويلات العسكرية تمثل الجانب الأبرز في هذا المجال وهوما ستركز عليه تسليط الضوء في دراستنا هذه؛ ورغم كون تحويلات السلاح والتكنولوجيا العسكرية من أهم قطاعات التعاون العسكري بين روسيا والصين، توجد قطاعات أخرى يتجلى من خلالها هذا التعاون بين الطرفين وتتمثل في: المشاورات العسكرية رفيعة المستوى وكذلك إجراء التمرينات العسكرية المشتركة JOINT MILITARY EXERCISES (ZHURAVEL 2012, p. 22)؛ وهي ظاهرة جديدة برزت منذ عام 2005، والتي يؤكد الطرفان بشأنها بأنها ليست موجبة ضد أي طرف ثالث، وإنما جاءت من أجل تعزيز درجة الثقة بين روسيا والصين ومحاولة القضاء على أسباب الخلاف بينهما، وتخفيف درجات التوتر وامتصاص عوامل التشنج والريبة التي تعكر صفو علاقات البلدين.

أولا - تحويلات السلاح والتكنولوجيا العسكرية:

من بين مظاهر التعاون العسكري بين روسيا والصين، يبقى موضوع تجارة السلاح يكتسي أهمية بالغة في هذا المضمار، لكونها تمثل عنصرا حاسما فيه؛ وقد بدأ التعاون العسكري بين روسيا والصين منذ نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي السابق، وقدرت واردات الصين من السلاح الروسي ما بين عامي 1991 و2010 بما يقارب نسبة 90% من مجموع الواردات الصينية في هذا المجال، وبالمقابل تمثل هذه الكميات ما يقارب نسبة 40% من مجموع صادرات روسيا من السلاح، خلال نفس الفترة؛ وقد حصلت الصين، في غضون سنوات قليلة، على كميات معتبرة من السلاح والتكنولوجيا العسكرية الروسية من خلال شراء أنظمة سلاح متكاملة، الحصول على تراخيص لتصنيع الأسلحة الروسية وشراء المكونات COMPONENTS التي تحتاجها المصانع العسكرية الصينية في عملية تركيب و/أو تصنيعها للأسلحة (CARLSSON; OXENSTIERNA AND WEISSMANN 2015, PP. 54-56)؛ ويمكن إرجاع تنامي ظاهرة تزويد روسيا للصين بالسلاح إلى عوامل مختلفة، ومن بينها نذكر الآتي:

بالنسبة للصين:

- في سعيها من أجل إنجاز التحديث العسكري، لم يكن توجه الصين نحو روسيا لتزويدها بالسلاح لدوافع عسكرية بحتة، بل جاء هذا من أجل تحقيق غايات سياسية أيضا وتتمثل في الرغبة في تحقيق تقارب أكبر مع روسيا وتعزيز مستوى الثقة بين الطرفين، وكان هذا خاصة خلال عشرية التسعينات التي يطلق عليها اسم: العشرية الذهبية للصداقة الصينية - الروسية (CARLSSON ; OXENSTIERNA AND WEISSMANN 2015, p.33)؛ وقد حقق استيراد السلاح من روسيا للصين إعادة تسليح قواتها العسكرية؛ وفي نفس الوقت، ساهمت التكنولوجيا التي تحصلت عليها بكين في هذا الإطار تطوير صناعاتها العسكرية مما سمح لها بالانتقال إلى طور التصدير في هذا المجال (DE HAAS, MARCEL. p.19).

- في هذا الوقت، كانت الصين تعيش نوعا من الاستقرار في ظل نمو اقتصادي متواصل سمح لها بزيادة قواتها داخليا وكذلك على المستوى العالمي، ولكنها وجدت نفسها في عزلة دبلوماسية كبيرة بعد أحداث تيانانمان TIANANMAN عام 1989.

- ومن دوافع لجوء الصين للتعاون العسكري مع روسيا نجد بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى منفردة بتسيير الشؤون الدولية، وتزايد نفوذها في شتى أنحاء العالم ومنها آسيا/المحيط الهادئ ASIA PACIFIC؛ مع تمدد الحلف الأطلسي نحو الشرق.

- وقد لعب خوف الصينيين من التنامي المتزايد للقدرات العسكرية لليابان، في ظل تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية، دورا مهما في هذا المسعى الصيني (CARLSSON ; OXENSTIERNA AND WEISSMANN 2015, p.27).

بالنسبة لروسيا:

- في ظروف مثل تلك التي سادت روسيا بعد زوال الاتحاد السوفياتي السابق، لم يكن متاحا أمام موسكو بدائل كثيرة في بحثها عن علاقات جديدة لها، فكان منطقيا أن تقوم بمد جسور التواصل مع الصين وهوما سهل قيام التعاون بينهما في المجال العسكري، ومن أسباب هذا التعاون ودوافعه يمكننا ذكر الآتي:

- تعاون موسكو مع بكين في المجال العسكري بمنحها أداة مهمة لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب.

- مبيعات روسيا من المعدات العسكرية للصين تتعلق أساسا بالمجال الجوي والمجال البحري، وعليه فتحى لو اندلع نزاع بين الطرفين فلن تستطيع الصين استخدام هذه الأسلحة ضد روسيا، فهذه الأخيرة لم تزود الصين بأسلحة خاصة بالمجال البري ذات قيمة استراتيجية مهمة.

- استيراد الصين السلاح من روسيا يرفع من درجة تبعيتها، ماديا ونفسيا، تجاه الصناعة والتكنولوجيا العسكرية الروسية (CARLSSON ; OXENSTIERNA AND WEISSMANN 2015, p.37)؛ كما حققت لها مبيعاتها السلاح للصين الحصول على مداخيل مالية ساهمت في الحفاظ على صناعتها العسكرية، هذا من جهة؛ كما حققت لها من جهة أخرى الحفاظ على مناصب العمل لمواطنيها.

ثانيا - المشاورات العسكرية الأمنية:

منذ عام 1997 تجري روسيا والصين " مشاورات إستراتيجية " سنوية، لتصبح في السنوات الأخيرة تضم وزيري الدفاع وقائدي الأركان للدولتين بمشاركة إطارات ومسؤولين في وزارة الخارجية وفي قطاعات الأمن الأخرى في البلدين (WEITZ 2015, P.P. 01-03).

ثالثا - التكوين العسكري الأكاديمي:

ومن بين قطاعات التعاون العسكري بين روسيا والصين هناك التبادلات الأكاديمية، بحيث، نجد في هذا الإطار أنه منذ عام 1996 يزاول الطلبة الصينيون دراساتهم بالأكاديميات العسكرية الروسية (WEITZ 2015, p. 04).

رابعا - التمرينات العسكرية المشتركة:

تجري روسيا والصين تمرينات عسكرية كبرى ثنائية بينهما ومتعددة الأطراف في إطار منظمة شنغهاي للتعاون؛ وتعتبر هذه التمرينات سابقة في تاريخ العلاقات بين الدولتين، وكانت أولى هذه التمرينات قد جرت تحت عنوان " مهمة سلام 2005 " PEACE MISSION 2005 (WEITZ 2015, p. 05)؛ كما بدأت روسيا

والصين إجراء مناورات بحرية مشتركة وكانت أولها خلال الفترة الممتدة ما بين 22 و 27 افريل 2012، وأما الثانية فجرت ما بين 05 و 13 جويلية 2013، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه التمرينات إستمرت فيما بعد سنة 2014 لتشمل المناورات البحرية والجوية (WEITZ 2015, p. 32).

وقد استمرت روسيا والصين في تطوير علاقاتهما العسكرية التي تشمل قطاعات واسعة من النشاطات، وإن بقي أحدهما قطاع تجارة السلاح؛ وصارت هذه العلاقات الأمنية بين الطرفين، مع مرور الزمن، تشبه شراكة عسكرية بين طرفين غير متحالفين ولكن ليس خصمين؛ ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ هذه العلاقات العسكرية أصبحت أكثر مأسسة وأفضل اندماجا (WEITZ 2015, P.P. 01-03)، وهوما أعطاهما زخما أكبر وانتظاما في صيرورتها.

3 - التنافس العسكري في الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين: المظاهر والدلالات:

رغم ما حققته كل من روسيا والصين من مكاسب مختلفة، في إطار علاقاتهما العسكرية في ظل شراكتهما الإستراتيجية، فإنّ هذه الأخيرة تواجهها تحديات متنوعة وتتمثل في التنافس بين الطرفين؛ وهوما قد ينقص من فعاليتها ويحدّ من استمرار نجاحها مستقبلا، وهذا التنافس تغذيه عوامل تمس المجال السياسي، المجال العسكري والمجال الإقتصادي؛ ومصطلح التنافس، في سياق العلاقات الدولية، يشير إلى عمليات التفاعل المصاحبة لإعداد وصناعة القرار السياسي، وهو نشاط يسعى من ورائه طرفان أو أكثر إلى تحقيق نفس الهدف، ويتفاوت التنافس كما (الدرجة أو الشدة) وكيفا حسب القيمة المتنافس عليها وما تمثله هذه القيمة بالنسبة لكل طرف، أي هل تدخل هذه القيمة ضمن منطق " اللعبة الصفريّة " أو منطق " اللعبة غير الصفريّة "، كما يتأثر هذا التنافس بطبيعة العلاقة القائمة بين أطرافه وكيف ينظر كل منهم إلى الآخرين (الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية)؛ وفي حصيلته الإجمالية، كان التعاون العسكري بين روسيا والصين خلال التسعينات من القرن العشرين ناجحا ومفيدا للطرفين، ويرجع نجاحه إلى السياق الدولي الملائم وكذلك نتيجة لكونهما يتقاسمان جملة من المصالح الإستراتيجية المشتركة، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، يفسر نجاح هذا التعاون العسكري بين الطرفين بكون العرض الروسي يتماشى مع الحاجيات الصينية من حيث المستوى التكنولوجي المطلوب وأيضا من حيث أسعارها وطرق وكيفيات تسديدها (FONTAINE 2008, p. 14)؛ ورغم كل هذا التناغم بين روسيا والصين، شهد التعاون بين الطرفين نوعا من التراجع والتباطؤ والإنخفاض في وتيرته نتيجة لعوامل عديدة ومتنوعة ويبرز ذلك جليا في قطاع تجارة السلاح، فبعد " العصر الذهب " (حوالي عشرية من الزمن: بداية من منتصف تسعينات القرن العشرين إلى منتصف العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين)، بدأ التعاون العسكري بين روسيا والصين يعرف نوعا من التوترات، وقد ظهر ذلك بوضوح عام 2004 من خلال قيام الصينيين بمزيد من الضغوط على شركائهم الروس عبر المطالبة بالرفع من مستوى ونوعية التعاون بين الطرفين؛ وعلى أية حال، فعهد العقود الكبرى لاستيراد الصين للعتاد العسكري الروسي قد ولى (FACON et MAKIENKO 2006, p. 06)؛ وكانت سنة 2005 مفصلية في هذا الشأن، خاصة بعدما أصبحت الشركة الحكومية ROSOBORONEXPORT تتحكم في أكثر من 85 % من تجارة السلاح في روسيا، كما أصبحت جميع القرارات الهامة التي تتعلق بهذا المجال بيد رئيس الدولة ووزارة الدفاع (ZHURAVEL, Iryna. 2012, p. 46)؛ ولهذا نجد من المحللين من يذهب إلى اعتبار سنة 2005 سنة مرجعية في دراسة وتحليل للعلاقات العسكرية بين روسيا والصين باعتبارها السنة التي بلغت فيها واردات الصين العسكرية من روسيا أوجها، وفي نفس الوقت

تعتبر بداية نهاية عهد طلبات الصين للأنظمة المتكاملة COMPLETE SYSTEMS: من هنا، شهدت الواردات الصينية انخفاضاً معتبراً؛ وهذا التذبذب الذي عرفته مبيعات السلاح الروسي للصين منذ عام 2005 يبرز جلياً بانتقال واردات الصين من السلاح الروسي من 1.609 مليون دولار أمريكي عام 2008 إلى حوالي 639 مليون دولار في عام 2010 لتعرف انتعاشاً جديداً جعلها تصل إلى حوالي 1040 مليون دولار في عام 2013، ولكن يبقى ذلك أقل بكثير من المستويات التي حققتها مبيعات روسيا من السلاح لفائدة الصين خلال "عصرها الذهبي" حينما كانت تتراوح ما بين 2500 و3000 مليون دولار أمريكي في بعض الأعوام كمعدل سنوي ENGELBREKT AND (WATTS 2015, p. 09). وعموماً، يمكن إرجاع جملة من العوامل والتي يمكن لنا أن نقسمها إلى: عوامل داخلية (روسيا والصين) وخارجية (النظام الدولي):

أ - عوامل البيئة الداخلية:

بالنسبة لروسيا: تنظر موسكو، رغم ما تحقق من الثقة المتبادلة بينها وبين بكين، وعلى المدين المتوسط والطويل، بأن الصين قد تكون مصدر تهديد سياسي وعسكري؛ وعليه، أصبحت أكثر حذراً في تعاونها عسكرياً معها (FACON et MAKIENKO 2006, p. 07)؛ كما أن خوف روسيا من قيام الصين بصناعة وتطوير نماذج مقلدة من العتاد العسكري الروسي، وخاصة السلاح، الذي تبنيه لها (وهو ما تعتبره روسيا خرقاً لحقوق الملكية الفكرية العائدة لها)، وهذا العامل يفسر جانباً من جوانب تراجع وتيرة التعاون بين روسيا والصين في هذا المجال، وقد تمكنت الصين فعلاً من تقليد الطائرات القتالية الروسية Sovremenny II 956 E Class Destroyer وMineral-ME Radar Systems Fregat M2EM 3D؛ وبسبب هذا التوجه الصيني جاء القرار الروسي عام 2005 والقاضي بتوقيف الرخصة التي منحتها للصين من أجل تصنيع 200 طائرة من نوع SU-27 القتالية وهذا نظراً لقيام الصين من تصنيع 95 طائرة من هذا الطراز، وقد اتهمت روسيا الصين بخرق بنود الاتفاقية القائمة بينهما فيما يخص حقوق الملكية الفكرية/الصناعية المتعلقة بهذه الرخصة بحيث قامت الصين باستخدام التكنولوجيا الروسية في تصنيع طائراتها القتالية J11B (ENGELBREKT, KJELL AND WATTS, JOHN. 2015, p. 10). وهذه الكيفية، تمكنت الصين ليس فقط بتطوير قدراتها العسكرية بل وأن تنافس روسيا في مجال تصدير السلاح للأسواق الخارجية، ولاسيما تلك الأسواق التي كانت فيما مضى من نصيب روسيا (ENGELBREKT AND WATTS 2015, p. 08).

وفيما يخص التخوفات الروسية من الشريك الصيني نجد في وثيقة "استراتيجية تطور فيدرالية روسيا حتى عام 2020 THE STRATEGY OF DEVELOPMENT OF RUSSIAN FEDERATION UNTILL 2020 تعبيراً عن مخاوف موسكو من التحديات المستقبلية التي قد تواجهها من جراء الصعود المضطرد للصين على كافة الأصعدة: الإقتصادية، العسكرية وحتى الدبلوماسية (ZHURAVEL 2012, p. 41)؛ وفي هذا السياق، نجد الفصل المتعلق بالبيئة الدولية The INTERNATIONAL ENVIRONMENT يعتبر بأن صعود الصين وحضورها القوي في أسواق التكنولوجيا المتطورة (وهذا إشارة قوية لسوق السلاح) يمثل إحدى التحديات الخارجية التي تواجه التنمية الإقتصادية لروسيا (ZHURAVEL 2012, p. 41)؛ وتتغذى هذه المخاوف من ممارسة الصينيين للضغوطات على نظرائهم الروس وإلحاحهم على الحصول على رخص تصنيع نماذج العتاد العسكري الروسي في المصانع العسكرية الصينية أكثر من شرائهم لهذا العتاد من روسيا مباشرة؛ وعلى وجه الخصوص، يسعى الصينيون للحصول على العتاد العسكري الذي يحمل مضمونا تكنولوجيا أكثر تطوراً وفعالية، وفي نفس الوقت

يريدون الحصول على كميات محدودة منه وهوما يزيد من مخاوف الروس خاصة في ظل سعي الصينيين للتحكم في تكنولوجيا الأنظمة المستوردة وعملهم على التأقلم معها من جهة، ومن جهة أخرى، يعمل الصينيون بقوة وحرص كبيرين للتفوق عليها من خلال تطويرها عن طريق ما يمكن ترجمته: بالهندسة العكسية RENVERSEMENT-ENGINEERING (DE JONG (ed.) 2008, p.12.) : وهذا ما يذهب إليه خاصة أنصار التيار المعادي للصين والذين يرون بأنها قادرة على أن تصبح ذات قوة أكبر وتتحوّل إلى منافس خطير لبلادهم ويذهبون للقول: ماذا لو أخذت أسلحتك (السلّاح الروسي المصدر إلى الصين)، في يوم من الأيام الإتجاه الخاطئ؟ (يقصدون ماذا لو استخدمت الصين السلّاح الروسي ضد روسيا في يوم من الأيام) (MENON (2009, p.p. 22-23)؛ وهنا نجد من الباحثين من ذهب إلى إعتبار أنّ أتباع التيار الروسي المعادي للصين والعاملين لفكرة " الخطر الصيني على روسيا " كان لهم تأثير في مسألة تقليص درجة ونوعية تزويد روسيا للصين بحاجياتها من السلّاح (ZHURAVEL 2012, p. 50) كما أصبحت الهوة التكنولوجية الفاصلة بين روسيا والصين في المجال العسكري تضيق بمرور الزمن مما جعل الروس أكثر حذرا في تعاملهم مع الصينيين لإدراكهم بحجم المخاطر التي يمكن أن تمثلها الصين على أمنهم القومي مستقبلا ؛ كما أنّ روسيا أصبحت تعمل على جعل صناعاتها العسكرية أقل ارتباطا وتبعية للسوق الصينية والتخلي عن التصدير المكثف لهذه المنتجات للصين (FONTAINE 2008, P.P. 16 -17) ، وقد تمكنت روسيا من تحقيق هذه الغاية بعدما شهدت أسعار المحروقات ارتفاعا مضطربا وغير مسبوق في أواخر تسعينيات القرن العشرين بحيث حصلت من جراء ذلك على مداخيل مالية كبيرة سمحت لها بانتهاج سياسة تطوير قدراتها العسكرية في مختلف قطاعاتها وبذلك أصبح جيشها أهم زبون للمركب العسكري – الصناعي الروسي مما قلل من حاجة موسكو لتصدير السلّاح للخارج، وعلى وجه الخصوص للصين (ZHURAVEL 2012, P.P. 46-47.)؛ بالمقابل، عبّر الروس لشركائهم الصينيين، منذ نهاية التسعينات، عن عدم استعدادهم لتقديم نفس التسهيلات التي كانوا يمنحونها لهم فيما سبق بخصوص دفع فاتورة وارداتهم من السلّاح الروسي، وهنا صارت موسكو ترفض التعامل بالمقايضة كوسيلة دفع للديون المترتبة عن استيراد بكن للعتاد العسكري الروسي، وقد برز هذا التوجه مع بداية تحرر الصناعات العسكرية من رحمة تبعية السوق الصينية من خلال تصديرها لسلّاحها للأسواق الجديدة، مثل: الهند، وفنزويلا (FONTAINE 2008, PP. 17-18).

بالنسبة للصين: من العوامل التي ساهمت في تذبذب العلاقات بين روسيا والصين في المجال العسكري يمكن أن نذكر ما يلي:

- تطور الطلب الصيني مع تطور العقيدة العسكرية الصينية: نظرا لتوجه الصين نحو الإعتماد على جيش أكثر تطورا عدّة وأقل عددا، أصبحت تلجّ في طلبها من شركائها الروس أن يزودوها بأسلحة أكثر تطورا تكنولوجيا، وهو الأمر الذي تتردد في الإستجابة له موسكو بسبب ما قد يحمله ذلك من تهديد لأمنها القومي.

- السعي الصيني للحدّ من تبعية الخارج؛ وبغية تحقيق هذه الغاية، انفقت الصين مبالغاً ضخمة في الحقل العلمي- الصناعي بهدف تطوير صناعاتها العسكرية، وهوما ساهم في التقليل من إعتداد قواتها العسكرية على وارداتها من روسيا (FONTAINE 2008, p. 15)؛ ويجد ذلك تفسيره في سعيها لأن تصبح أحد الأقطاب المؤثرة في العالم مما يحتمّ عليها تطوير مركبها العسكري – الصناعي وتطوير قدراتها العسكرية إلى حين إقامة صناعة عسكرية خاصة بها (JAKOBSON (And Others), 2011, p. 42.)، وهوما تحقق فعلا للصين، بعد الإستثمارات

الكبيرة التي قامت بها في مجال تطوير صناعاتها العسكرية، وهوما صار واضحا مع ارتفاع عدد " النماذج الجديدة للأسلحة " المصنّعة محليا بورشات ومصانع المركب العسكري - الصّناعي الصّيني؛ في ضوء هذه التّطورات يمكن فهم انخفاض وتيرة وحجم واردات الصّين للسّلاح من روسيا، بل وهذا ما يفسر انتقال الصّين إلى أن تصبح أحد مصدري السّلاح بحيث احتلت المرتبة السادسة عالميا في عام 2011 في هذا المضمار (ZHURAVEL 2012, p. 42).

- يشنكي الصّينيون من رداءة نوعية السّلاح الرّوسى المصدّر لبلادهم، ويشكون كذلك من آجال وظروف تسليم طلباتهم غير المناسبة، ويذكرون أيضا مشكلة غلاء الأسعار المتعلقة بالسّلاح المتحصل عليه (JAKOBSON (17, p. 2011, And Others), وفي هذا الإطار، قد سجل حدوث عدة توترات بين روسيا والصّين فيما يخص هذه المسألة؛ كما يثور الخلاف بينهما حول طرق وكيفيات تسديد أثمان العتاد العسكري المتفق عليه (MENON 2009, p. 24.)، وهوما أثر سلبا على شراكتهما الإستراتيجية التي كان الجانب العسكري أهم الأسس التي قامت عليها.

ب - عوامل البيئة الخارجية:

من بين العوامل النّابعة من البيئة الخارجية التي حدّت من مدى ومستوى التّعاون العسكري بين موسكو وبكين نذكر ما يلي:

- مما ساهم في انخفاض درجة ووتيرة التّعاون الرّوسى - الصّيني في المجال العسكري، بطريقة أو بأخرى، استجابة الرّوس للضّغوطات الأمريكيّة التي ما فتئت واشنطن تمارسها على موسكو من أجل الحدّ من هذا التّعاون بينهما (FONTAINE 2008, PP. 16 -17).

- كما أنّ التّعاون العسكري بين روسيا والصّين يثير قلق الشّركاء الآسيويين الآخرين للرّوس: الهند، الباكستان، الفيتنام واليابان؛ وعليه فالقرارات الرّوسية بشأن تعاونها العسكري مع الصّينيين كثيرا ما تخضع لضغوطات هذه الدّول من أجل الحفاظ على التّوازن الإستراتيجي الإقليمي (DE JONG (ed.), 2008, p.13.)؛ كما يؤثر خوف الصّينيين من إختلال التّوازن الإستراتيجي بينها وبين منافسها في المنطقة، فمثلا فيما يتعلق بالتّعاون العسكري لروسيا مع الهند، يعتبر الصّينيون بأنّ السّلاح الرّوسى المحوّل للهند ذي نوعية رفيعة وأكثر تطورا تكنولوجيا من ذلك الذي يحصلون هم عليه، وهوما أثر بشكل ملحوظ على تعاون ما العسكري (JAKOBSON (17, p. 2011, And Others).

5 - الآفاق المستقبلية للشراكة الإستراتيجية في المجال العسكري بين روسيا والصّين:

إنّ الآفاق المستقبلية للشراكة الإستراتيجية في المجال العسكري بين روسيا والصّين (أي السيناريوهات المستقبلية المحتملة لهذه الشراكة) تستند إلى المعطيات العامة المتعلّقة بالوضع القائم والموارد اشتتشاف اتجاهاته مع الأخذ بعين الاعتبار للظروف السّائدة في البيئة المحيطة به والتي يتأثر بمختلف اتجاهاتها سلبية (تحديات) أو إيجابية (فرصا)؛ وعليه، نجد: أنّ الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصّين في المجال العسكري إمّا ستشهد إستمرارا وثباتا أو تغيرا، وكل ذلك وفق مسارات احتمالية يوطّرها الوضع الدّاخلي المحتمل الخاص بكل من روسيا والصّين وكذلك الوضع الدّولي العام المحتمل أيضا، وهذا على المدى المنظور

للتحليل، ويحتمل تشكل تطور هذه الشراكة حسب أربعة سيناريوهات تتوزع على حالي الإستمرار أو التغير المحتملين لهذه الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين:

أ - حالة إستمرار الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين:

وقد تتحقق هذه الحالة وفق سيناريوهين:

أولاً - سيناريو الحد الأدنى أو "سيناريو الحفاظ على الوضع القائم للشراكة الإستراتيجية".

ثانياً - سيناريو الحد الأقصى أو سيناريو رفع درجة الشراكة الإستراتيجية أو سيناريو التحالف.

ب - حالة التغير للشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين:

وقد تتحقق هذه الحالة وفق سيناريوهين:

ثالثاً - سيناريو الحد الأدنى أو سيناريو خفض درجة الشراكة وانحسار مجالاتها.

رابعاً - سيناريو الحد الأقصى أو سيناريو فك الشراكة (حالة النزاع).

مما سبق، يظهر بأن أفاق الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين ستتشكل، احتمالاً، وفقاً للسيناريوهات (النظرية) الأربعة المذكورة آنفاً؛ ومن بين هذه السيناريوهات، نقدر بأن السيناريوهات الثاني، الثالث والرابع ستبقى مستبعدة لأنها تتضمن تغيراً في أهداف السياسة الخارجية الشاملة لكل من روسيا والصين وفيما بينهما أيضاً، وبالتالي، وهو الأمر غير المحتمل على الأقل على المدى المنظور؛ وأما فيما يخص السيناريو الأول، والذي يتضمن استمرار الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين بنفس الأهداف التي تُغطي المجال العسكري لكل منهما فهو المرشح بأن تكون العلاقات بين روسيا والصين مشكلة حسب منواله، مما يعني بأن الوضع القائم بين روسيا والصين في إطار شراكتهما الإستراتيجية سيستمر ولا يشهد تغيرات جذرية، مع إمكانية إدخال تغيرات ثانوية على بنية هذه الشراكة الإستراتيجية لتعزيز استمرارها في نفس الاتجاه، وهذا نتيجة لاستمرار نفس الأسباب والعوامل التي أدت لاستخدامها كأداة لتحقيق أهداف سياستهما العسكرية وهذا تماشياً مع سياقاتها الداخلية، الإقليمية والعالمية؛ وهذا السيناريو سيأخذ الملامح التالية في المجال العسكري:

سيستمر التعاون العسكري بين روسيا والصين نظراً لرغبة الجانب الروسي في الحفاظ على علاقته بالزبون الصيني مدفوعاً بغايات إقتصادية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، من أجل الحفاظ على نافذه لمراقبة القدرات العسكرية للجار الصيني؛ ولكن سيبقى الروس آخذين بحسابهم الاعتبارات التالية:

- أخذ موسكو للتحفظات الغربية حول مضمون تعاونها بكون بعين الاعتبار وكذلك الانشغالات التي تبتديها القوى الإقليمية حيال هذا الموضوع.

- الحفاظ على أمنها القومي من خلال الإبقاء على الفارق التكنولوجي العسكري بينهما.

كما ستعمل بكين على استمرار تعاونها العسكري مع الروس للاستفادة من التكنولوجيا العسكرية الروسية؛ وكذلك لمواجهة تحديات المخاطر الأمنية المتأنية من بيئتها الخارجية، خاصة من الجانب الأمريكي وتحالفاته المختلفة مع منافسي الصين في المنطقة على غرار اليابان.

وعليه، سيبقى التعاون العسكري بين الطرفين في نفس المستوى؛ وإن حدث تقدم في هذا المجال سيكون ببطء وحذر شديدين من الروس، ويكون تعاوناً ظرفياً وتمليه عوامل خاصة، كما حدث بعد العقوبات الغربية المسلطة على الروس منذ أزمة أوكرانيا في سنة 2014 م، وفي هذه المرحلة لوحظ نوع من إنتعاش

التعاون بين روسيا والصين من خلال قبول موسكو ببيع بعض أسلحتها المتطورة لبكين كأداة من أدوات تعزيز علاقاتها بها.

خاتمة:

من كل ما سبق من وصف للعلاقات العسكرية بين روسيا والصين في إطار شراكتهما الإستراتيجية، يمكننا القول بأن مظاهر التعاون بين روسيا والصين، المذكورة سابقا، في المجال العسكري تؤكد لنا الفرضية الأولى التي تعتبر بأن وجود مصالح مشتركة لروسيا والصين أدى إلى قيام تعاون عسكري بينهما في مختلف ميادينها؛ وأما مظاهر التنافس بين روسيا والصين في المجال العسكري بمختلف دلائلها فإنها تؤكد لنا صحة الفرضية الثانية التي تعتبر بأن وجود مصالح متناقضة بين روسيا والصين يؤدي إلى قيام علاقات تنافس بينهما في المجال العسكري؛ وفي ظل وجود مثل هذا المزيج من دوافع التعاون بين روسيا والصين، هذا من جهة؛ ووجود عوامل التنافس بينهما، من جهة أخرى، يقودنا للقول بصحة الفرضية الثالثة المقترحة في إطار دراستنا والتي تعتبر وجود مصالح مشتركة بين روسيا والصين مع بروز مصالح متناقضة بينهما، بين الحين والآخر، يجعل مستقبل الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين يبقى مشروطا بمآل التفاعل الجدلي بين مكونات هذا المزيج من المصالح المشتركة والمصالح المتناقضة المشروط بظروف وسياقات حدوثه الداخلية والخارجية؛ ومحاولة الطرفان إيجاد نقطة التوازن في الاختيار بين هذين التقيضين من أجل خدمة مصالحهما القومية، وهو السيناريو الذي يسمح باستمرار الشراكة الإستراتيجية بين روسيا والصين على نفس المنوال القائم حاليا؛ وفي نفس الوقت نرى بأن هذه الشراكة الإستراتيجية بين البلدين لن تتطور لتصبح تحالفا بين الطرفين نظرا لغياب الدوافع لذلك لدى كليهما، وكذلك بسبب عدم توفر الظروف الخارجية، الإقليمية أو العالمية، الملائمة لتحقيق مثل هذا السيناريو.

ومنه، يمكن القول بأن العلاقات العسكرية بين روسيا والصين، في ظل شراكتهما الإستراتيجية، ستبقى على مدى المستقبل المنظور مؤسسة ومركزة على منطق السياسة الواقعية *THE REALPOLITIK*.

قائمة المراجع

باللغة العربية:

- د. عبد الفتاح، إسماعيل. الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية.

على الرابط الإلكتروني: www.kotobarabia.com

باللغة الأجنبية:

⁰¹ - carlsson, marta ; oxenstierna, susanne and weissmann, mikael. china and russia : a study on cooperation, competetion and distrust. (2015). stockholm : f. o. i..

⁰² - de haas, marcel. russian-chinese security relations: moscow's thereat from the east ?. (2013). abthe Hague / the neetherlands : neetherlands institute of international relations.

⁰³ - de jong, peer (ed.). (2008). relations sino-russes. paris : école de guerre économique.

⁰⁴ - engelbrekt, kjell and watts, john. (2015). sino-russian strategic collaborations : still an " axis of convenience "?. stockholm: swedish national defense college.

- ⁰⁵ - facon, isabelle et makienko, konstantin. (2006). la cooperation militaro - thechnique entre la russie et la chine : bilan et perspectives, paris: frs. recherche et documents.
- ⁰⁶ - feng, hui yung. (july 2015). the new geostrategic game : will china and russia form an alliance against the united states ? . diis report. copenhagen : danish institute for international studies.
- ⁰⁷ - fontaine, sebastien (commandant). (2008). quelles perspectives pour le partenariat strategique sino-russe ?. mémoire présenté pour la promotion en grade. college inter-armées de défense (paris / france).
[http : // www. diploweb. com / quelles-perspectives-pour-le-html](http://www.diploweb.com/quelles-perspectives-pour-le-html)
- ⁰⁸ - jakobson, linda (and others). (2011). china's energy and security relations with russia : hopes, frustrations and incertainties. stockholm : sipri. sipri policy paper, n° 29, october 2011.
- ⁰⁹ - menon, rajan. (2009). the china-russia relationship : what is involves, where it is headed and how it matters for the united states. new- york: the century foundation.
- ¹⁰ - weitz, richard. (2015). purchasing chinese - russian military exercises. carlisle/usa : strategic studies institute.
- ¹¹ - zhuravel, iryna. (2012). arms transfers between russia and china : neoclassical realist analysis, a memory submitted to obtain the grad of master in global studies. lund university / sweden — department of political science.